الباب الثانى

منهج ابن تيمية بالنسبة لمذهبه فى الوحدانية

الفصل الأول

منهج ابن تيمية فى الوحدانية

١- التزام شيخ الإسلام بالكتاب والسنة :

التزم شيخ الإسلام ابن تيمية فى كتاباته - عن الوحدانية وفى كتاباته الأخرى عن وجود الله والأسماء والصفات والجبر والاختيار والنبوة والمعاد - بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ولعلنا فى هذا المقام نذكر حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم حين بعث معاذ بن جبل إلى اليمن داعياً، فقال له «بم تحكم؟» قال: بكتاب الله. قال صلى الله عليه وسلم: «فإن لم تجد؟» قال: بسنة رسول الله . قال صلى الله عليه وسلم: فإن لم تجد قال: أجتهد برأيى. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «الحمد لله الذى وفق رسول رسول الله لما يرضى رسوله»[1]. فقد طبق شيخ الإسلام ابن تيمية هذا الحديث لرسول الله صلى الله عليه وسلم، فالتزم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، ثم بعد ذلك اجتهد برأيه، هذا الرأى النابع من كتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم.

ومن هذا المنطلق، منطلق التزامه بالكتاب والسنة يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «فلما أعرضوا عن كتاب الله ضلوا» كما قال تعالى: ﴿يَٰبَنِيٓ ءَادَمَ إِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ رُسُلٌ مِّنكُمْ يَقُصُّونَ عَلَيْكُمْ ءَايَٰتِي فَمَنِ ٱتَّقَىٰ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ

---

(١) د. محمود محمد على - العلاقة بين المنطق والفقه عند مفكرى الإسلام، الطبعة الأولى، القاهرة ٢٠٠٠ ص ١٧. والحديث رواه أبو داود.

يَحْزَنُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾[1]. وقوله ﴿ قَالَ اهْبِطَا مِنْهَا جَمِيعًا بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ فَإِمَّا يَأْتِيَنَّكُمْ مِنِّي هُدًى فَمَنِ اتَّبَعَ هُدَايَ فَلَا يَضِلُّ وَلَا يَشْقَىٰ ﴿١٢٣﴾ وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكًا وَنَحْشُرُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَىٰ ﴿١٢٤﴾ ﴾[2]. قال ابن عباس: تكفل الله لمن قرأ القرآن وعمل بما فيه ألا يضل فى الدنيا ولا يشقى فى الآخرة، ثم قرأ هذه الآية كما فى الحديث الذى رواه الترمذى وغيره عن على رضى الله عنه قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «إنها ستكون فتن» قلت: فما المخرج منها يارسول الله؟ قال: «كتاب الله، فيه نبأ ما قبلكم وخبر ما بعدكم وحكم ما بينكم، هو الفصل ليس بالهزل، من تركه من جبار قصمه الله ومن ابتغى الهدى فى غيره أضله الله وهو حبل الله المتين وهو الذكر الحكيم وهو الصراط المستقيم، وهو الذى لا تزيغ به الأهواء ولا تلتبس به الألسنة ولا يخلق على كثرة الرد ولا تنقضى عجائبه ولا يشبع منه العلماء، وفى رواية ولا تختلف به الآراء، هو الذى لم تنته الجن إذا سمعته أن قالوا إنا سمعنا قرآناً عجباً يهدى إلى الرشد، من قال به صدق ومن عمل به أجر ومن حكم به عدل ومن دعا إليه هدى إلى صراط مستقيم.

قال تعالى: ﴿ وَأَنَّ هَٰذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ﴿١٥٣﴾ ﴾[3]. وقال تعالى ﴿ الٓمٓصٓ ﴿١﴾ كِتَابٌ أُنْزِلَ إِلَيْكَ فَلَا يَكُنْ فِي صَدْرِكَ حَرَجٌ مِنْهُ لِتُنْذِرَ بِهِ وَذِكْرَىٰ لِلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾ اتَّبِعُوا مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ وَلَا تَتَّبِعُوا مِنْ دُونِهِ أَوْلِيَاءَ ﴿٣﴾ ﴾[4]. وقال: ﴿ وَهَٰذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ

(١) سورة الأعراف – الآية ٣٥.

(٢) سورة طه الآيات ١٢٣ – ١٢٤.

(٣) سورة الأنعام – الآية ١٥٣.

(٤) سورة الأعراف – الآيات ١ – ٣.

فَٱتَّبِعُوهُ وَٱتَّقُوا۟ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ ﴿١٥٥﴾ أَن تَقُولُوٓا۟ إِنَّمَآ أُنزِلَ ٱلْكِتَٰبُ عَلَىٰ طَآئِفَتَيْنِ مِن قَبْلِنَا وَإِن كُنَّا عَن دِرَاسَتِهِمْ لَغَٰفِلِينَ ﴿١٥٦﴾ أَوْ تَقُولُوا۟ لَوْ أَنَّآ أُنزِلَ عَلَيْنَا ٱلْكِتَٰبُ لَكُنَّآ أَهْدَىٰ مِنْهُمْ ۚ فَقَدْ جَآءَكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ ۚ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّن كَذَّبَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَصَدَفَ عَنْهَا ۗ سَنَجْزِى ٱلَّذِينَ يَصْدِفُونَ عَنْ ءَايَٰتِنَا سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ بِمَا كَانُوا۟ يَصْدِفُونَ ﴿١٥٧﴾﴾[1]. فذكر سبحانه أنه يجزى الصادف عن آياته مطلقاً سواء كان مكذباً أم لم يكن سوء العذاب بما كانوا يصدفون، بين ذلك أن كل من لم يقر بما جاء به الرسول فهو كافر سواء اعتقد كذبه أم استكبر عن الإيمان به أم أعرض عنه اتباغاً لما يهواه أم ارتاب فيما جاء به، فكل مكذب بما جاء به فهو كافر وقد يكون كافراً من لا يكذبه إذا لم يؤمن به[2].

٢ - دور العقل عند شيخ الإسلام :

نجد أن العقل عند شيخ الإسلام ابن تيمية مجرد متقبل للعلوم الشرعية، وليس للعقل أن يغير فيها، لأنها علوم ثابتة لا تتغير، مثل علمنا بوحدانية الله تعالى وأسمائه وصفاته وصدق رسله وملائكته وكتبه وغير ذلك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «فتبين بذلك أن العقل ليس أصلاً لثبوت الشرع فى نفسه، ولا معطياً له صفة لم تكن له ولا مفيداً له صفة كمال، إذ العلم مطابق للمعلوم المستغنى عن العلم تابع له ليس مؤثراً فيه، فإن العلم نوعان أحدهما العملى، وهو ما كان شرطاً فى حصول المعلوم، كتصور أحدنا لما يريد أن يفعله، فالمعلوم هنا متوقف على العلم به محتاج إليه. والثانى الخبرى النظرى، وهو ما كان المعلوم غير مفتقد فى وجوده إلى العلم به، كعلمنا بوحدانية الله تعالى

(١) سورة الأنعام – الآيات ١٥٥ – ١٥٧.

(٢) ابن تيمية – بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول – على هامش كتاب منهاج السنة النبوية. المكتبة العلمية، الطبعة الأولى، بيروت، ١٣٢٢، ص ٢٨، ٢٩.

وأسمائه وصفاته وصدق رسله وملائكته وكتبه وغير ذلك، فإن هذه المعلومات ثابتة سواء علمناها أم لم نعلمها، فهى مستغنية عن علمنا بها، والشرع مع العقل هو من هذا الباب، فإن الشرع المنزل من عند الله ثابت فى نفسه سواء علمناه بقولنا أم لم نعلمه وهو مستغن فى نفسه عن علمنا وعقلنا ولكن نحن محتاجون إليه وإلى أن نعلمه بعقولنا، فإن العقل إذا علم ما هو عليه الشرع فى نفسه صار عالماً به وبما تضمنه من الأمور التى يحتاج إليها فى دنياه وآخرته، وانتفع بعلمه به وأعطاه ذلك صفة لم تكن له قبل ذلك، ولو لم يعلم لكان جاهلاً ناقصاً»[1].

٣ - فكرة التأويل عند شيخ الإسلام :

وإذا كان العقل عند شيخ الإسلام ابن تيمية مجرد متقبل للعلوم الشرعية، فإن شيخ الإسلام يرفض فكرة التأويل التى أتى بها المتكلمون والفلاسفة وهى «صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يحتمله اللفظ»، ففى كتب علم الكلام المتأخرة نجد أن هذا المعنى مستعمل فى معظمها إن لم يكن فى جميعها، فهو عند الرازى فى «تأسيس التقديس» وبقية كتبه، وعند الغزالى من قبل فى «إلجام العوام» و «فيصل التفرقة» ومن قبلهما عند إمام الحرمين فى «الشامل» و «الإرشاد» و «العقيدة النظامية» وهو عند ابن رشد فى «فصل المقال»[2].

ويرجع شيخ الإسلام ابن تيمية إلى القرآن الكريم لمعنى التأويل ويتمسك به، فلفظ التأويل فى القرآن يُراد به ما يؤول الأمر إليه، وإن كان موافقاً لمدلول اللفظ ومفهومه فى الظاهر ويراد به تفسير الكلام وبيان معناه، وإن كان موافقاً له وهو اصطلاح المفسرين المتقدمين كمجاهد وغيره. فالصحابة

---

(١) ابن تيمية – المصدر السابق، ص ٤٦ – ٤٧.

(٢) د. محمد السيد الجليند – الإمام ابن تيمية وموقفه من قضية التأويل، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٧٣، ص ٤٧.

والتابعون لهم بإحسان وسائر أئمة المسلمين كالأئمة الأربعة وغيرهم، يريدون بالتأويل هذين المعنيين[1].

ويضرب شيخ الإسلام الأمثلة من القرآن الكريم لمعنى التأويل لهذين المعنيين سواء المرجع والمآل أم معنى التفسير، مثل قوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَأَطِيعُواْ ٱلرَّسُولَ وَأُوْلِي ٱلْأَمْرِ مِنكُمْۖ فَإِن تَنَٰزَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى ٱللَّهِ وَٱلرَّسُولِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِٱللَّهِ وَٱلْيَوْمِ ٱلْأٓخِرِۚ ذَٰلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا ﴿٥٩﴾ ﴾[2].

فقد فسر مفسرو السلف التأويل هنا بالثواب والجزاء والعاقبة، ومؤدى ذلك أن يكون بمعنى المآل، لأن الثواب والجزاء هو مآل الطاعة ومثل قوله تعالى: ﴿ وَلَقَدْ جِئْنَٰهُم بِكِتَٰبٍ فَصَّلْنَٰهُ عَلَىٰ عِلْمٍ هُدًى وَرَحْمَةً لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٥٢﴾ هَلْ يَنظُرُونَ إِلَّا تَأْوِيلَهُۥۚ يَوْمَ يَأْتِي تَأْوِيلُهُۥ يَقُولُ ٱلَّذِينَ نَسُوهُ مِن قَبْلُ قَدْ جَآءَتْ رُسُلُ رَبِّنَا بِٱلْحَقِّۖ فَهَل لَّنَا مِن شُفَعَآءَ فَيَشْفَعُواْ لَنَآ أَوْ نُرَدُّ فَنَعْمَلَ غَيْرَ ٱلَّذِي كُنَّا نَعْمَلُۚ ﴿٥٣﴾ ﴾[3]. وواضح أن المعنى هنا هو المآل والعاقبة، فإنه لا يكون يوم القيامة إلا المآل والعاقبة.

ومثل قوله تعالى: ﴿ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ ﴿٦﴾ ﴾[4]. بمعنى التفسير[5].

---

(١) ابن تيمية – بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول – على هامش كتاب منهاج السنة النبوية، ص ٥ – ٦.

(٢) سورة النساء – الآية ٥٩.

(٣) سورة الأعراف – الآية ٥٢ – ٥٣.

(٤) سورة يوسف – الآية ٦.

(٥) محمد أبو زهرة – ابن تيمية، ص ٢٢٩.

وإذا كان شيخ الإسلام ابن تيمية قد فسر التأويل بمعنى المرجع والمآل أو بمعنى التفسير، فإنه ليس معنى ذلك أنه استبعد التفسير العقلى أو التأويل العقلى، بل إننا نجده قد التزم بالمنهج العقلى بجانب الكتاب والسنة.

ومن الأمثلة على ذلك مسألة كلام الله، فإنه يثبته أولاً بأدلة نقلية مثل قوله تعالى: ﴿وَلَمَّا جَآءَ مُوسَىٰ لِمِيقَٰتِنَا وَكَلَّمَهُۥ رَبُّهُۥ﴾[1]. وقوله تعالى: ﴿وَكَلَّمَ ٱللَّهُ مُوسَىٰ تَكْلِيمًا﴾[2]، ثم يثبتها بأدلة عقلية، فالله سبحانه وتعالى كامل لا يتصف بنقص، وصفة الكلام هى صفة كمال، فالمتكلم أكمل من غير المتكلم، ولذلك يجب أن يكون الله سبحانه وتعالى متكلماً.

٤ - القياس عند شيخ الإسلام:

ويأخذ شيخ الإسلام ابن تيمية بالقياس الصحيح وهو الذى فيه الأصل والفرع فى مناط الحكم، ولم يعارضه ما هو أرجح منه، وأيضاً يأخذ بالقياس المأخوذ من النص، ويقول شيخ الإسلام فى ذلك «قد ثبت عن الصحابة أنهم قالوا بالرأى واجتهاد الرأى وقاسوا، كما ثبت عنهم ذم ما ذموه من القياس. قالوا: وكلا القولين صحيح.

فالمذموم من القياس المعارض للنص كقياس الذين قالوا إنما البيع مثل الربا وقياس إبليس الذى عارض به أمر الله بالسجود لآدم وقياس المشركين الذين قالوا تأكلون ما قتلتم ولا تأكلون ما قتله الله، قال الله تعالى: ﴿ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوْلِيَآئِهِمْ لِيُجَٰدِلُوكُمْ ۖ وَإِنْ أَطَعْتُمُوهُمْ إِنَّكُمْ لَمُشْرِكُونَ﴾[3]. وكذلك القياس الذى لا يكون الفرع فيه مشاركاً للأصل فى مناط الحكم، فالقياس

(١) سورة الأعراف - الآية ١٤٣.

(٢) سورة النساء - الآية ١٦٤.

(٣) سورة الأنعام - الآية ١٢١.

يذم إما لفوات شرطه وهو عدم المساواة فى مناط الحكم وإما لوجود مانعه وهو النص الذى يجب تقديمه عليه، وإن كانا متلازمين فى نفس الأمر، فلا يفوت الشرط إلا والمانع موجود ولا يوجد المانع إلا والشرط مفقود، وأما القياس الذى يستوى فيه الأصل والفرع فى مناط الحكم ولم يعارضه ما هو أرجح منه، فهذا هو القياس الذى لا يمتنع، ولا ريب أن القياس فيه فاسد وكثير من الفقهاء قاسوا أقيسة فاسدة بعضها باطل بالنص، وبعضها مما اتفق السلف على بطلانه، لكن بطلان كثير من القياس لا يقتضى بطلان جميعه، كما أن وجود الكذب فى كثير من الحديث لا يوجد كذبه جميعه ومدار القياس على أن الصورتين يستويان فى موجب الحكم ومقتضاه، فمتى كان كذلك كان القياس صحيحاً بلا شك»[1].

٥ - قياس الأولى عند شيخ الإسلام :

ويتحدث شيخ الإسلام ابن تيمية عن قياس الأولى وهو القياس الذى جاء به القرآن الكريم فى تقرير أصول الدين فى مسائل التوحيد والصفات والمعاد ونحو ذلك. فعندما نقارن مثلاً بين خلق السماوات والأرض وبين خلق الإنسان، نجد أن خلق السماوات والأرض أعظم وأبلغ، وأن خلق الإنسان أيسر وأولى، وفى هذا يقول شيخ الإسلام ابن تيمية «والإنسان يعلم الإمكان الخارجى، تارة بعلمه بوجود الشىء وتارة بوجود نظيره، وتارة بعلمه بوجود ما الشىء أولى بالوجود منه، فإن وجود الشىء دليل على أن ما هو دونه أولى بالإمكان منه، ثم إنه إذا بيَّن كون الشىء ممكناً، فلابد من بيان قدرة الرب على ذلك فبين سبحانه هذا كله بمثل قوله: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَّا رَيْبَ فِيهِ

(١) ابن تيمية - منهاج السنة النبوية - الجزء الثانى، ص ٩٢.

فَأَبَى ٱلظَّٰلِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿٩٩﴾﴾[1]. وقولـه: ﴿أَوَلَيْسَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُم ۚ بَلَىٰ وَهُوَ ٱلْخَلَّٰقُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٨١﴾﴾[2]. وقولـه: ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَلَمْ يَعْىَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَٰدِرٍ عَلَىٰٓ أَن يُحْۦِىَ ٱلْمَوْتَىٰ ۚ بَلَىٰٓ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٣﴾﴾[3]. وقولـه: ﴿لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ ﴿٥٧﴾﴾[4]. فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بنى آدم والقدرة عليه أبلغ، وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة على ذلك[5].

ويضرب شيخ الإسلام ابن تيمية مثالاً عن قياس الأولى فى التوحيد فى قولـه تعالى: ﴿ضَرَبَ لَكُم مَّثَلًا مِّنْ أَنفُسِكُمْ ۖ هَل لَّكُم مِّن مَّا مَلَكَتْ أَيْمَٰنُكُم مِّن شُرَكَآءَ فِى مَا رَزَقْنَٰكُمْ فَأَنتُمْ فِيهِ سَوَآءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنفُسَكُمْ ﴿٢٨﴾﴾[6]، أى كخيفة بعضكم بعضا، فبين سبحانه أن المخلوق لا يكون مملوكه شريكه فى ماله حتى يخاف مملوكه كما يخاف نظيره، بل تمتنعون أن يكون المملوك لكم نظيرا، فكيف ترضون أن تجعلوا ما هو مخلوقى ومملوكى شريكاً لى يدعى ويعبد كما أدعى وأعبد كما كانوا يقولون فى تلبيتهم: لبيك اللهم لبيك، لا شريك لك إلا شريكاً هو لك، تملكه وما ملك[7].

(١) سورة الإسراء – الآية ٩٩.

(٢) سورة يس – الآية ٨١.

(٣) سورة الأحقاف – الآية ٣٣.

(٤) سورة غافر – الآية ٥٧.

(٥) ابن تيمية – بيان موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول – على هامش كتاب منهاج السنة النبوية، ص ١٦ – ١٧.

(٦) سورة الروم – الآية ٢٨.

(٧) نفس المصدر، ص ١٩.

الفصل الثانى

المنهج النقدى عند شيخ الإسلام

ومن خلال التزام شيخ الإسلام بالكتاب والسنة، ومن خلال التزامه بالقياس الصحيح، والقياس المأخوذ من النص، وقياس الأولى المأخوذ من القرآن الكريم، فإن شيخ الإسلام ابن تيمية قد أخذ بالمنهج النقدى على أوسع نطاق؛ فنجده ينقد علماء الكلام والفلاسفة والمتصوفة، ويتعدى هذا إلى أهل الديانات الأخرى المسيحية واليهودية، حتى إن أحد الباحثين يصفه بأنه أكبر نقادة فى الإسلام[1].

١ - نقد شيخ الإسلام لعلم الكلام :

نجد شيخ الإسلام ابن تيمية ينقد علم الكلام، وهو العلم الذى قام من أجل الدفاع عن أصول العقيدة الإسلامية[2]، نجده يقوم بنقد هذا العلم، فإن ألفاظ الجوهر والجسم والتحيز والعرض ونحو ذلك التى أتى بها المتكلمون، لم يأت بها الدين، ولا تكلم بها النبى صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة والتابعين ولا أحد من الأئمة المتبوعين. يقول شيخ الإسلام فى ذلك «فالسلف والأئمة لم يذموا الكلام لمجرد ما فيه من الاصطلاحات المولدة كلفظ الجوهر والعرض والجسم وغير ذلك، بل لأن المعانى التى يعبرون عنها بهذه العبارات فيها من الباطل المذموم فى الأدلة والأحكام ما يجب النهى عنه؛ لاشتمال

(١) محمد خليل هراس – ابن تيمية السلفى، الطبعة الأولى، طنطا ١٩٥٢، ص ٣٢.

(٢) نوران الجزيرى – الغائية عند الأشاعرة، هيئة الكتاب، الطبعة الأولى، القاهرة ١٩٩٢. ص ١١.

هـذه الألفاظ على معان مجملة فى النفـى والإثبات كما قال الإمام أحمد فى وصفه لأهل البدع فقال: هم مختلفون فى الكتاب، مخالفون للكتاب، متفقون علـى مفارقة الكتاب يتكلمون بالمتشـابه من الكلام، ويخدعون جهال الناس بما يلبسون عليهم.

فإذا عرفت المعانى التى يقصدونها بأمثال هذه العبارات، ووزنت بالكتاب والسـنة بحيث يثبت الحق الذى أثبته الكتاب والسنة، وينفى الباطل الذى نفـاه الكتاب والسـنة كان ذلك هو الحق بخلاف ما سـلكه أهل الأهواء من التكلم بهذه الألفاظ نفياً وإثباتاً فى الوسـائل والمسـائل من غير بيان التفصيل والتقسيم الذى هو من الصراط المستقيم، وهذا من مثارات الشبه؛ فإنه لا يوجد فى كلام النبى صلى الله عليه وسلم ولا أحد من الصحابة والتابعين ولا أحد من الأئمة المتبوعين أنه علق بمسـمى لفظ الجوهر والجسـم والتحيز والعرض ونحو ذلك شيئاً من أصول الدين لا الدلائل ولا المسائل[1].

ولكن مسـائل أصول الدين عند شـيخ الإسـلام ابن تيميـة التى أتى بها القرآن، وأتى بها النبى صلى الله عليه وسـلم، والتى يجب اعتقادها ويجب أن تذكـر قولاً وعملاً، هى مسـائل التوحيد والصفات والقـدر والنبوة والمعاد أو دلائل هذه المسائل، وهى الأدلة العقلية التى يحتاج إليها فى العلم بذلك، والتى جاء القرآن بخلاصته على أحسـن وجه وذلك كالأمثال المضروبة التى يذكرهـا الله فى كتابه حيث قال ﴿ وَلَقَدْ ضَرَبْنَا لِلنَّاسِ فِي هَٰذَا الْقُرْآنِ مِن كُلِّ مَثَلٍ ﴿٥٨﴾ ﴾[2]، وذلك مثل قياس الأولى[3].

---

(١) ابـن تيميـة – موافقة صريح المعقول لصحيح المنقول – على هامش كتاب منهاج السـنة النبوية، ص ٢٣.

(٢) سورة الروم – الآية ٥٨.

(٣) ابن تيمية – المصدر السابق – ص ١٣ – ١٥.

٢ - نقد شيخ الإسلام للفلاسفة :

ثم نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يهاجم الفلاسفة كالفارابى (٢٦٠ - ٣٣٩ هـ)، وابن سينا (٣٧٠ - ٤٢٨ هـ)، وابن رشد (٥٢٠ - ٥٩٥ هـ)، ويقول عنهم: إنهم أهل الوهم والتخييل، فهؤلاء الفلاسفة يذكرون أن الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر وعن الجنة والنار وعن الملائكة بأمور حسية غير صحيحة مثل أن الله جسم عظيم وأن الأبدان تعاد، وأن ثواب الجنة وعقاب النار محسوسان وذلك لمصلحة الجمهور، فهذا الوهم والتخيل للأنبياء - كما يزعم الفلاسفة - لإقناع الجمهور بدعوتهم، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية فى ذلك «فأهل الوهم والتخييل هم الذين يقولون إن الأنبياء أخبروا عن الله وعن اليوم الآخر وعن الجنة والنار بل عن الملائكة بأمور غير مطابقة للأمر فى نفسه، لكنهم خاطبوهم، بل يتخيلون به، ويتوهمون به أن الله جسم عظيم، وأن الأبدان تعاد، وأن له نعيماً محسوساً وعقاباً محسوساً وإن كان الأمر ليس كذلك فى نفس الأمر، لأن من مصلحة الجمهور أن يخاطبوا بما يتوهمون به ويتخيلون أن الأمر هكذا، وإن كان هذا كذباً فهو كذب لمصلحة الجمهور، إذ كانت دعوتهم ومصلحتهم لا تمكن إلا بهذا الطريق»[1].

فشيخ الإسلام ابن تيمية يذكر أن الفلاسفة يتهمون الأنبياء بالكذب وذلك لمصلحة الجمهور، مثل ابن سينا الذى يفضل النبى على الفيلسوف لأنه علم ما علمه الفيلسوف وزيادة، وأمكن أن يخاطب الجمهور بطريقة يعجز عن مثلها الفيلسوف، ومن هؤلاء من يفضل خاتم الأولياء على النبى مثل ابن عربى، ومنهم من يفضل الفيلسوف على النبى مثل الفارابى.

---

(١) ابن تيمية - المصدر السابق، ص ٣.

٣ - نقد شيخ الإسلام لبعض أهل التصوف :

نجد شيخ الإسلام ابن تيمية يهاجم بعض أهل التصوف، الذين لم يفرقوا بين توحيد الألوهية وتوحيد الربوبية، فهؤلاء الصوفية الذين يقولون بتوحيد الربوبية، يقولون ما فى الوجود غيره ولا سواه، بمعنى أن المخلوق هو الخالق والمصنوع هو الصانع، والتوحيد الحق عند شيخ الإسلام هو توحيد الإلوهية، فلا نعبد إلا الله سبحانه وتعالى، فلا نجعل له نداً فى ألوهية ولا شريكاً ولا شفيعاً.

فهؤلاء الصوفية الذين يشير إليهم شيخ الإسلام ابن تيمية يشاهدون ربوبية الله تعالى لعباده التى عمت جميع البرايا ويظن أن دين الله الموفقة للقدر سواء كان ذلك فى عبادة الأوثان واتخاذ الشركاء والشفعاء من دونه، أم كان فيه الإيمان بكتبه ورسله والإعراض عنهم والكفر بهم. وهؤلاء يسوون بين الذين آمنوا وعملوا الصالحات وبين المفسدين فى الأرض وبين المتقين والفجار، ويجعلون المسلمين كالمجرمين ويجعلون الإيمان والتقوى والعمل الصالح بمنزلة الكفر والفسوق والعصيان، وأهل الجنة كأهل النار وأولياء الله كأعداء الله، وربما جعلوا هذا من باب الرضا بالقضاء وربما جعلوه التوحيد والحقيقة[1].

وهذه الأقوال والأفعال، كما يرى شيخ الإسلام ابن تيمية، هى شر من مقالات اليهود والنصارى، بل من مقالات المشركين والمجوس وسائر الكفار من جنس مقالة فرعون والدجال ونحوها ممن ينكر الصانع الخالق البارئ رب العالمين أو يقولون إنه هو أو أنه حل فيه.

---

(١) ابن تيمية – مجموعة الرسائل والمسائل – تعليق: حياة مأمون شيحا – المجلد الأول، دار الفكر، الطبعة الأولى، بيروت ١٩٩٦ ص ٤١.

وهؤلاء كفار بأصل الإسلام، وهو شهادة أن لا إله إلا الله وأن محمداً رسول الله، فإن التوحيد الواجب أن نعبد الله وحده، لا نشرك به شيئاً؛ فلا نجعل له نداً في ألوهية ولا شريكاً ولا شفيعاً[1].

وأيضاً يهاجم شيخ الإسلام ابن تيمية بعض أهل التصوف الذين أتوا بأسماء دائرة على ألسنتهم مثل الغوث الذى يكون بمكة، والأوتاد الأربعة، والأقطاب السبعة والأبدال الأربعين والنجباء الثلاثمائة، فهذه الأسماء ليست موجودة فى كتاب الله ولا هى أيضاً مأثورة عن النبى صلى الله عليه وسلم[2].

٤ - نقد شيخ الإسلام للمسيحية واليهودية :

ونجد شيخ الإسلام ابن تيمية يتعدى نقده إلى أهل الديانات الأخرى المسيحية واليهودية، فالإسلام دين التوحيد، والله سبحانه وتعالى ليس كمثله شىء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله، والله سبحانه وتعالى موصوف بصفات الكمال. يقول شيخ الإسلام فى ذلك: «فالمسلمون وسط فى التوحيد بين اليهود والنصارى، فاليهود تصف الرب بصفات النقص التى يختص بها المخلوق، ويشبهون الخالق بالمخلوق، كما قالوا إنه بخيل وإنه فقير، وإنه لما خلق السماوات والأرض تعب، وهو سبحانه الجواد الذى لا يبخل، والغنى الذى لا يحتاج إلى غيره، والقادر الذى لا يمسه لغوب، والقدرة والإرادة والغنى عمن سواه هى صفات الكمال التى تستلزم سائرها، والنصارى يصفون المخلوق بصفات الخالق التى يختص بها، ويشبهون المخلوق بالخالق، حيث قالوا إن الله هو المسيح بن مريم، وأن الله ثالث ثلاثة، وقالوا المسيح ابن الله، واتخذوا أحبارهم ورهبانهم أرباباً من دون الله والمسيح بن مريم وما أمروا

---

(١) المصدر السابق، ص ٤٢.

(٢) المصدر السابق، ص ٥٤.

إلا ليعبدوا إلهاً واحداً لا إله إلا هو سبحانه عما يشركون، فالمسلمون وحدوا الله ووصفوه بصفات الكمال ونزهوه عن جميع صفات النقص، ونزهوه عن أن يماثله شيء من المخلوقات فى شيء من الصفات، فهو موصوف بصفات الكمال لا بصفات النقص، وليس كمثله شيء لا فى ذاته ولا فى صفاته ولا فى أفعاله[1].

تعقيب :

وهكذا نجد شيخ الإسلام ابن تيمية فى منهجه عن الوحدانية يلتزم بكتاب الله وسنة رسول الله صلى الله عليه وسلم، المصدر الأول للدين والشريعة الإسلامية، والعقل عنده متقبل للعلوم الشرعية لأنها علوم ثابتة لا تتغير مثل علمنا بوحدانية الله سبحانه وتعالى وأسمائه وصفاته وصدق رسله وملائكته وكتبه وغير ذلك.

ثم نجده يرجع فكرة التأويل فى معناها إلى القرآن الكريم، وهو المآل والمرجع أو تفسير الكلام وبيان معناه، وبذلك يرفض فكرة التأويل التى أتى بها المتكلمون والفلاسفة وهى «صرف اللفظ عن ظاهره إلى معنى يحتمله اللفظ» ثم يأخذ شيخ الإسلام بالرأى والقياس الصحيح، والقياس المأخوذ من النص سواء كان هذا النص هو القرآن أم السنة، ثم يأخذ بقياس الأولى المأخوذ من القرآن الكريم.

ثم يقوم شيخ الإسلام ابن تيمية بنقد مناهج المذاهب الإسلامية فى الوحدانية مثل علم الكلام والفلسفة والتصوف، ويتعدى هذا النقد إلى أهل الديانات الأخرى مثل المسيحية واليهودية.

---

(١) ابن تيمية – منهاج السنة النبوية – الجزء الثالث، ص ٤٢.